**السياق القرآني عند ابن عادل من خلال تفسيره (اللباب)**

**أ.د. شاكر محمود السعدي & أ.م.د. حسين داخل البهادلي**

**الجامعة العراقية – العراق**

**ترجمة موجزة عن ابن عادل والتعريف بتفسيره:**

هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ويكنى بأبي حفص وبأبي الحسن، ولُقِبَ بسراج الدين، غير أنه ورد له لقب أخر هو (زين الدين)، ولقبه وكنيته الأولين اشتهر بهما([[1]](#footnote-1)). ولم تسعفنا كتب التراجم والأعلام بشيء عن تاريخ ولادته وظروف نشأته الأولى وتأريخ أسرته، وذكر شيوخه وتلامذته والمناصب التي تقلدها، فضلاً عن وفاته([[2]](#footnote-2))، إذ جعله صاحب طبقات المفسرين في فصل الأئمة والمشايخ المفسرين الذين لا يوجد تأريخ لمولدهم أو وفاتهم في الطبقات والتواريخ، وأقصى ما ذكر أنه من أعيان القرن الثامن أو التاسع دون جزم لأحدهما([[3]](#footnote-3)). وهذا ما درج عليه الباحثون([[4]](#footnote-4)).

ومن الممكن تحديد تأريخ تقريبي لمولد ابن عادل ووفاته من خلال النظر إلى تواريخ شيوخه وتلامذته ووفياتهم، وقد تبين أنه ولد على وجه تقريبي بعد سنة 675هـ([[5]](#footnote-5))، أما وفاته فتذكر المصادر التي ترجمت له أنه كان حياً سنة 880هـ، اعتماداً على ما وجد مكتوباً في آخر تفسير سورة طه أنه فرغ من تفسيرها في رمضان سنة 880هـ([[6]](#footnote-6))، غير إن هذا التأريخ لا نطمئن له، لسبب بسيط أننا وجدناه يذكر (أنه فرغ من كتابته -أي تفسيره- سنة 876هـ) ([[7]](#footnote-7))، وفي مصدر أخر أنه فرغ من تفسيره كاملاً في رمضان سنة 879هـ([[8]](#footnote-8))، وليس ثمة دليل يمكن اعتماده لترجيح أحد الأقوال.

ولابن عادل شخصية علمية كبيرة وعلم واسع في علوم العربية، وعلوم القرآن، والحديث النبوي الشريف، والقراءات، وغيرها، إذ لم يكن مجرد ناقل لأقوال العلماء في تفسيره -كما يظن بعض الباحثين- بل كان يناقش الكثير من القضايا في مواضع متعددة، ويعلق على بعض منهم من دون عنف أو طعن في شخصية أحد. ومن المؤسف -حقاً- لم يصل إلينا من آثاره سوى كتابين هما([[9]](#footnote-9)):

1. اللباب في علوم الكتاب: وهو أحد التفاسير المعروفة.
2. حاشيته على المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله تعالى)([[10]](#footnote-10)).

**التعريف بتفسيره:**

يعد كتاب اللباب في علوم الكتاب أكبر كتاب بعد تفسير الرازي، وأكبر تفاسير الحنابلة بعد تفسير ابن الجوزي، ونسبته إلى مؤلفه صحّت في المصادر القديمة والحديثة ([[11]](#footnote-11))، والكتاب طبع في عشرين مجلداً بدار الكتب العلمية، وشارك في تحقيقه في رسائل علمية د. محمد سعد رمضان حسن، و د. محمد المتولي الدسوقي حرب، فضلاً عن الشيخين الجليلين المحققين الأصليين، وهما الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض([[12]](#footnote-12)). ولم يكن كتاب (اللباب) الوحيد الذي سمي بهذا الاسم بل ثمة كتب أخر سميت بهذا الاسم([[13]](#footnote-13)).

ويبدو إن ابن عادل وضع في حساباته المعنى اللغوي في تسمية كتابه بهذا الاسم، إذ يقول في مقدمة كتابه: ((وبعد، فهذا كتاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن وسّميته: اللباب في علوم الكتاب))([[14]](#footnote-14)).

ونستنتج من طريقته أنه جمع أقوال العلماء في المسألة الواحدة، ثم عرضها وناقشها إذا لزم الأمر، وهو بهذا يُعطيك لُبَ هذه الأقوال وخلاصتها بما مَنَّ الله تعالى عليه بقريحة متوقدة وإدراك واسع، وذكاء كبير.

ولا بدّ من أنّ نذكر هنا –ملحوظة- مفادها إن عنوان كتاب ابن عادل قد يوهم للوهلة الأولى عن كونه يبحث في علوم الكتاب شأنه شأن كتاب الزركشي أو كتاب السيوطي، وهما كتابان يبحثان في علوم القرآن كالمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والوقف والابتداء، وأسباب النزول وغيرها. وعلى الرغم من أن ابن عادل تعرض لبعض علوم القرآن إلاّ أن كتابه تفسير للقرآن الكريم يبدأ من الفاتحة وينتهي بسورة الناس.

وثمة ملحوظة ثانية -هي الأخرى مهمة- مفادها إن تفسير ابن عادل لم يكن من الشهرة أو الظهور بمكان، فضلاً عن كونه لم ينل العناية الكافية من لدن العلماء والمفسرين، ولعل هذا بسبب كثرة التفاسير المهمة([[15]](#footnote-15)) التي غطت شهرتها ما عداها من التفاسير التي ألفت في ذلك العصر، والتي من ضمنها تفسير اللباب مما جعله مغموراً ومجهولاً لدى كثير من العلماء لا سيما المفسرين.

ولعل هذا الأمر أثر من ناحية أخرى في ابن عادل نفسه الذي كان -على الرغم من مكانته العلمية التي كان يتمتع بها في عصره- عالماً كبيراً، ظلت شهرته العلمية محدودة إلى أن هيأ الله -تعالى- مَنْ كشف الغبار عنه وعن تفسيره من الباحثين والدارسين في دراسات أكاديمية علمية تجاوزت الثلاثين دراسة([[16]](#footnote-16)).

**المبحث الأول**

**مفهوم السياق القرآني وأهميته وأنواعه وأركانه**

**المطلب الأول: مفهوم السياق القرآني وأهميته**

السياق في اللغة: متأتٍ من مادة (سوق) وقد تضمنت في المعاجم اللغوية معان كثيرة، وأصلها كما قال ابن فارس (395هـ): (السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدُ الشيء. يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسيقَّة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقتُ إلى امرأتي صداقها، واستقته، والسوق مستقة من هذا) ([[17]](#footnote-17)).

ويقال: وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي مُتقاودة ومتساوقة([[18]](#footnote-18)).

ومن ينعم النظر في معجمات اللغة يرى أن مادة السياق في اللغة لا تعدو عن كونها تدور في معاني التتابع والاتصال والدفع والأخذ والاطلاق وتراسله في نسق، فلذا يمكن القول: إن السياق في اللغة يدل على تتابع منتظم في الحركة توصّل إلى نهاية معينة دون انفصال([[19]](#footnote-19)).

أما مفهوم السياق اصطلاحاً فلا نجانب الصواب إذا قلنا: إن العرب على الرغم من اهتمامهم الكبير بهذا المصطلح -الذي ورد مضمونه ومعناه في مؤلفاتهم- إلا أننا لم نجد أحداً منهم من ذكر هذا المصطلح أو صرح به. بل عبروا عنه تارة بقولهم: (ولكل مقام مقال)([[20]](#footnote-20))، وأخرى بـ(مقتضى الحال) ([[21]](#footnote-21)) إذ ربط البلاغيون بين بلاغة الكلام وموافقته لمقتضى حال المخاطب، حتى أنهم عدّوا الكلام البليغ ما وافق هذا الشرط، وهم بكل ذلك يشيرون إلى السياق ويقصدونه من غير تسمية له.

ومن المفسرين مَنْ يرى ضرورة مراعاة السياق في التفسير القرآني إذ قال: ((لا يجوز صرف الكلام عما هو في سياق غيره إلا بحجة التسليم لها من دلالة ظاهرة التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة))([[22]](#footnote-22))، ومثله كان ابن الأنباري (ت328هـ) الذي أشار إلى السياق بقوله: ((إنّ كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه))([[23]](#footnote-23))، ولا غرو في ذلك فإن ديدن العلماء القدماء في مختلف العلوم الخوض في المصطلحات العلمية من دون تسمية لها أو وضع لقواعدها.

ومن المحدثين من عرَّف السياق بقوله: ((إنه تتابع المعاني في سلك الألفاظ القرآنية لتأدية معنى مقصود دون انقطاع)) ([[24]](#footnote-24))، أي: بمعنى إن مصطلح السياق يشمل الأجزاء التي تسبق النص أو التي تليه مباشرة يتمكن المتلقي من خلالها الوصول إلى المعنى المراد([[25]](#footnote-25)).

وللسياق أهمية كبيرة عند العلماء والمفسرين، إذ يُعُّد من الركائز المهمة التي يعولون عليها في بيان الظواهر اللغوية وتفسيرها، إذ أنهم وجدوا إن السياق من أبرز القرائن في الكشف عن المعاني الأصيلة والثانوية، وما يؤيد هذا ويؤكده جهودهم لأثر السياق وتتبعهم له في الكشف عن المعنى، ونظرية النظم عند الجرجاني ليست ببعيدة عما نذهب إليه([[26]](#footnote-26)).

حقاً إن للسياق ودلالته أهمية عظيمة، إذ لا يمكن لمن يقدم على مهمة التفسير أن يتجاهله فبدونه يكثر الزلل، ويزداد الخطأ علاوة على ما يقدمه السياق من تخصيص عام، وتقييد مطلق، وتبَيين مجمل، وهذا ما أشار إليه أحد أئمة التفسير([[27]](#footnote-27)).

وللسياق سمة تعبيرية بوساطتها يمكن معرفة المراد من الآية القرآنية أو السورة كلها، وهذا ما تنبه إليه الأٍتاذ الدكتور فاضل السامرائي بقوله: ((قد يكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة، فتتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة. وقد يكون للسورة كلها جو خاص، وسمة خاصة، فتطبع ألفاظها بتلك الصفة، وهذا واضح وكثير في القرآن الكريم))([[28]](#footnote-28)).

فضلاً عما تقدم فإن كثيراً من الباحثين والدارسين قد تناولوا مهام السياق في النص القرآني وأفاضوا بالحديث عنها، ولا حاجة أن نعيد ما ذكروه([[29]](#footnote-29)).

**المطلب الثاني: أنواع السياق وأركانه**

من أعظم ما يتميز به كتاب الله تعالى، ويُعُّد من مظاهر إعجازه وبلاغة السياق القرآني؛ ذلك أن المفسر أو الباحث في التفسير إنما ينظر في السياق القرآني واللغوي من دون غيرهما من أنواع السياقات، ولعل هذا يكشف بوضوح إن القرآن الكريم محتمل للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة.

والسياق القرآني يختلف عن بقية السياقات الأخرى إذ أنه متعدد الاتجاهات وإن كانت تتداخل بعضها في بعض، وقد أشار أحد الباحثين إلى هذه الأنواع فقال: ((السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما إنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه))([[30]](#footnote-30)).

ثم أخذ يبيّن ما تقدم، ويعدد أنواع السياقات فقال: ((بمعنى إن هناك سياق آية وسياق نص وسياق السورة والسياق القرآني فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى)([[31]](#footnote-31)).

ومن هذا يتضح إن أنواع السياق القرآني أربعة هي:

1. سياق القرآن.
2. سياق السورة.
3. سياق النص.
4. سياق الآية.

ولا نريد الخوض في تفصيلات هذه الأنواع( [[32]](#footnote-32))، لأنها ستأتي ضمن حديثنا عنها في تفسير ابن عادل، إلاّ أننا لا نغالي إذا قلنا: إن هذه الأنواع السياقية بمجموعها تكشف بوضوح تام عن عظمة القرآن الكريم في نظمه وترابطه وأحكامه زيادة على منهج عظيم لدراسة القرآن وتفسيره.

أما الأركان التي يقوم عليها السياق القرآني فقد تحدث عنها العلماء قديماً وحديثاً([[33]](#footnote-33))، وجعلوها خمسة أركان وهي:

1. الغرض من الكلام.
2. معرفة حال المتكلم.
3. معرفة حال السامع.
4. معرفة حال المتكلم عنه.
5. ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه.

وتعد هذه الأركان وسائل مبنية لفهم مراد المتكلم ومقصوده، وثمة علاقة وطيدة بين هذه الأركان وإن كان كل ركن منها يبحث في مجاله إلاّ أنها مجتمعة تسهم بشكل كبير في معرفة المعنى وفهمه من خلال النظر إلى حروف المفردة التي تتركب منها، ثم النظر في ذات الكلمة وباطنها، فضلاً عن النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقاتها ببعض.

**المبحث الثاني**

**مجالات السياق القرآني عند ابن عادل**

**المطلب الأول: أثر دلالة السياق على وجود التقديم والتأخير**

هذا المطلب من أساليب البلاغة المهمة ومن أبرزها، قيل عنه: ((هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق)) ([[34]](#footnote-34)).

وقد تنبه الجرجاني (ت476هـ) إلى القيمة البلاغية لهذا الأسلوب فقال: ((هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التعريف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان))([[35]](#footnote-35)).

ولعل سعة هذا الباب متأتية من كونه يشمل كثيراً من أجزاء الكلام، فالمسند إليه مثلاً يقدم لأغراض بلاغية ذكرها البلاغيون زيادة على المسند ومتعلقات الفعل، ومما يلحق بما تقدم أنواع أخر من التقديم لا ترجع إلى ما ذكرنا أشار إليها الزركشي وذكر منها خمسة وعشرين لوناً([[36]](#footnote-36)).

ومن الأسباب المهمة التي يتم من أجلها تقديم الألفاظ بعضها على بعض ما يقتضيه المقام وسياق القول، ((وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن...الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب. ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه، بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فنرى التعبير منسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة))([[37]](#footnote-37)).

وبيّن الأستاذ السامرائي المواطن التي تقتضي التقديم والتأخير فقال: ((إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل هذا مراعي فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة))([[38]](#footnote-38)).

وقد أشار ابن عادل لأسلوب التقديم والتأخير مبيناً أثر السياق في ذلك من خلال تفسيره لبعض آيات القرآن الكري ، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر إن القرآن الكريم قد يقدم لفظة في مكان ويؤخرها في مكان آخر حسبما يقتضيه السياق، ومن ذلك قوله تعالى: {**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**} الأنعام: الآية 151، وقوله: {**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**}الإسراء: الآية 31.

قال ابن عادل: ((في هذه الآية الكريمة قال: (**نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**) فقدّم المخاطبين، وفي (الإسراء) قدّم ضمير الأولاد عليهم، فقال: (**نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**)، فقيل: للتفنن في البلاغة))، ثم أضاف: ((وأحسن منه أن يقال: الظاهر من قوله: (**مِنْ إِمْلَاقٍ**) حصول الإملاق للوالد، لا توقّعه وخشيته، فُبدئ أولاً بالعد، برزق الآباء بشارة لهم بزوال ما هم فيه من الإملاق، وأما في آية (الإسراء) فظاهرها أنهم موسرون وإنما يخشون حُصول الفقر، ولذلك قال: (**خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ**)، وإنما يُخشى الأمور المتوقعة، فبدأ فيها بضمان رزقهم))([[39]](#footnote-39)).

ونلحظ إن الله تعالى في سورة الأنعام قال: (**مِنْ إِمْلَاقٍ**) لأنهم فقراء، فالله تعالى يخاطبهم لطمأنتهم فقال تعالى: **نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**، وإنما في سورة الإسراء فالخطاب مختلف، إذ قال تعالى: **نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** فبدأ بتطمينهم على أولادهم -أولاً- ثم خطابهم، وهذا من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

ولعل سبب ما تقدم يعود إلى السياق في الآيتين الذي كان يقتضي تقديم رزق الآباء في الآية الأولى على الأبناء بينما يقتضي في الآية الثانية تقديم رزق الأبناء على الآباء.

ومن الأغراض البلاغية الأخرى لأسلوب التقديم والتأخير التي وقف عندها ابن عادل التقديم للأفضلية، وذلك أن يقدم اللفظ، وإن كان حقه التأخير لأفضليته كتقديم السمع على البصر نحو قوله تعالى: {**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ**} يونس: الآيتان 42–43.

فبعد أن وضح ابن عادل المراد من الآيتين الكريمتين، وعقد لها فصولاً، منها فصل ذكر فيه أفضلية السمع على البصر مشيراً إلى قول ابن قتيبة إذ قال: ((احتج ابن قتيبة بهذه الآية على أن السمع أفضل؛ لأنه تعالى قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر، إلاّ ذهاب البصر، فكان السَّمع أفضل من البصر))، ثم ذكر قول ابن قتيبة فقال: ((واحتج ابن قتيبة بحجة أخرى فقال: كُلما ذكر الله السَّمع في القرآن فإنه غالباً يقدم السَّمع على البصر، فدّل على أن السّمع أفضل من البصر))([[40]](#footnote-40)).

وقد يكون تقديم السمع على البصر لسبب آخر عدا الأفضلية ((وهو أن مدى السمع أقل من مدى الرؤية، فقدم ذلك المدى الأقل متدرجاً من القصر إلى الطول في المدى، ولذا حين قال موسى في فرعون: {**إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى\*قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**} طه: الآيتان 45–46، فقدم السمع لأنه يوحي بالقرب؛ إذ الذي يسمعك يكون في العادة قريباً منك، بخلاف الذي يراك فإنه قد يكون بعيداً، وإن كان الله لا يندّ عن سمعه شيء))([[41]](#footnote-41)).

وقد يكون التقديم لغرض الاهتمام أو لكونه واجب التقديم كما في قوله تعالى: {**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ**} البقرة: الآية 133.

ورد في الآية الكريمة أكثر من تقديم ولأغراض مختلفة قال ابن عادل: ((والمشهور نصب (يعقوبَ) ورفع (الموتُ)، قدّم المفعول اهتماماً...قوله (ما تعبدون) (ما): اسم استفهام في محل نصب؛ لأنه مفعول مقدم بتعبدون، وهو واجب التقديم؛ لأن له صدر الكلام))([[42]](#footnote-42)).

وثمة أغراض أخرى للتقديم كالتقديم للاختصاص، وللعناية، وللتشريف، والتنبيه، وللتشويق، وغيرها، وقد أثرنا الاقتصار على ما تقدم خشية الإطالة([[43]](#footnote-43)).

**المطلب الثاني: أثر السياق في الدلالة على المحذوف من الكلام**

أولى البلاغيون أسلوب الذكر والحذف عناية خاصة كونه من طرق التعبير التي تثري المعنى وتعمقه، وقد قال الجرجاني عن الحذف: ((وهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد إفادة، ونجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن))([[44]](#footnote-44)).

وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب هو ملحظ نحوي فقد عني بدراسته النحويون القدماء وبينوا مواضعه، وعدَّه ابن جني باباً قيماً من أبواب شجاعته العربية([[45]](#footnote-45)).

والحذف لا يستحسن إلا بوجود ما يدل عليه عند حذفه من قرينه، فضلاً عن وجود المرّجح للحذف عن الذكر، وكلا الأمرين مرجعهما إلى النحو والبلاغة([[46]](#footnote-46)).

وإذا كان معنى الذكر هو وجود كلمة على جهة التذكير بالمعنى، فإن الحذف هو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها في الحال أو فحوى الكلام([[47]](#footnote-47)). والمرجح لذكر أحد ركني الجملة وحذفه مرده مقتضيات بلاغية ومنها السياق.

ونجد إن القرآن الكريم أكثر مَنْ راعى قضية الذكر والحذف ((فلا تذكر كلمة إلا إذا اقتضاها السياق، ولا تحذف كلمة إلا حذفها أبلغ وأنسب وأكثر ترابطاً في الأسلوب...بحيث تتداعى الألفاظ تداعياً طبيعياً حسبما تقتضيه الأفكار، وتنحدر بسهولة ويسر حتى تتماسك في مواضعها التي هُيئت لها))([[48]](#footnote-48)).

ولا بد من التنويه من أن لا مفاضلة بين الحذف والذكر إلا على ما يؤديه من فائدة لغوية ودقائق بلاغية، فالحذف في موضعه بليغ، والذكر في موضعه بليغ، فهما أسلوبان تصفى بهما العبارة فتكون قوية الحبك لها معان عدة([[49]](#footnote-49)). وإن الرابط في المفاضلة بينهما هو السياق الذي يقع على عاتقه تحديد المطلوب، فقد يؤثر ذكر اللفظة أو الجملة وتكرارها في موضع، أو قد يؤثر حذفها في آخر، وكل ذلك مما يقتضيه المقام والمناسبة، وقد يتم حذف المسند إليه أو المسند أو متعلقات الفعل أو غيرها، ومن الأمثلة على حذف المفعول تماشياً مع السياق قوله تعالى: {**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}** القصص: الآيتان 23–24.

أشار ابن عادل إلى مواضع حذف المفعول في الآية الكريمة فقال: (قوله: (**امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ**) فــ(**تَذُودَانِ) صفة لـ(امْرَأتَيْنِ) لا مفعول ثان، لأن (َوجَدَ**) بمعنى: لقي، والذَّود: الطرد والدفع...أو عن مزاحمة الناس، وقال الزمخشري([[50]](#footnote-50)): (لِمَ ترك المفعول غير مذكور في (**يَسْقُونَ)** و(**تَذُودَانِ**) و(**نَسْقِي**)، قلت: لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، وكذلك قولهما: (**لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ**) المقصود منه السقي لا المسقي) ([[51]](#footnote-51)).

ويتضح من النص إن المفعول حذف في أربعة مواضع لأن المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم، وامرأتين تذودان عنهما، وقالتا: لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما، ومن المعلوم إن الفرق واضح بين سياق الآية الكريمة الذي اتسم بالحذف والإيجاز وعرضنا للنص بهذا الذكر والتفصيل.

وقد تجد في النص القرآني حذف جملة أو جمل كاملة إذا اقتضى ذلك السياق ودل على المحذوف نحو قوله تعالى: {**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**} البقرة: الآية 60.

في هذه الآية الكريمة أكثر من حذف فالأول في قوله تعالى: **فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ**، قال ابن عادل: (قوله: (**فَانْفَجَرَتْ)** (الفاء) عاطفة على محذوف لا بد من تقديره: فضرب فانفجرت. قال ابن عصفور: إن هذه (الفاء) الموجودة هي الداخلة على ذلك الفعل المحذوف، والفاء الداخلة على (**انْفَجَرَتْ)** محذوفة، وكأنه قال: حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه، وحذفت (الفاء) الثانية لدلالة الأولى عليها، ولا حاجة إلى ذلك، بل يقال: حذفت الفاء وما عطفته قبلها)([[52]](#footnote-52)).

أما الآخر ففي قوله تعالى: **كُلُوا وَاشْرَبُوا**، قال ابن عادل: (قوله: (**كُلُوا وَاشْرَبُوا**) هاتان الجملتان في محل نصب بقول مضمر تقديره: وقلنا لهم: كلوا واشربوا)([[53]](#footnote-53)).

ومن الشواهد القرآنية التي تدل على حذف أكثر من جملة وفقاً لما يقتضيه السياق، قوله تعالى: {**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون**} يوسف: الآية 45.

قال ابن عادل: (**فَأَرْسِلُون**) خطاب، إما للملك والجمع، أو للملك وحده، على سبيل التعظيم وفيه اختصار تقديره: (فأرسلني أيها الملك إليه، فأرسله فأتي السجن).

ولعل كثرة ما نجد في القرآن الكريم من حذوف بديعة متأت من أثر السياق ودلالته على رسوخ معاني النص القرآني وبيان أثره.

وثمة شواهد قرآنية أخرى للحذف في تفسير ابن عادل كحذف المسند إليه من الجملة لمقاصد بلاغية جاءت تجنباً للحشو في الكلام، أو إذا كان المسند إليه معروفاً لدى المخاطبين، أو إذا كان المعنى مفهوماً بدونه وغيرها([[54]](#footnote-54)).

وشواهد أخرى تخص حذف المسند ومتعلقات الفعل إذا جاء مفسراً بمذكور من لفظه، أو لدلالة الملفوظ عليه، أو للاحتراز من العبث وإطالة الكلام، فضلاً عن أغراض بلاغية أخرى([[55]](#footnote-55)).

**المطلب الثالث: أثر السياق في المناسبة بين الفواتح والخواتم**

المناسبة في اللغة متأتية من الفعل نسب، وناسبه: شاركه في نسبه، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه، أي: قريبه([[56]](#footnote-56)).

ومرجع المناسبة بين الآيات القرآنية والسور يعود إلى ((معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك))([[57]](#footnote-57)).

والمناسبة تعد النوع الثاني من التجانس كما قال الرماني: ((وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد))([[58]](#footnote-58)).

وقد تناول ابن عادل هذا الفن في تفسيره نحو قوله تعالى: {**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**} النساء: الآية 114، مبيناً دقة المناسبة في هذه الآية فقال: ((إنما ذكر -تعالى- هذه الأقسام الثلاثة، لأن عمل الخير إما أن يكون بإيصال المنفعة أو بدفع المضرة، وإيصال الخير: إما أن يكون من الخيرات الجسمانية، وهو إعطاء المال، وإليه الإشارة بقوله: (**إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ)**. وإما أن يكون من الخيرات الروحانية، وإليه الإشارة بقوله: (**أَوْ مَعْرُوفٍ**)، وإمالة إزالة الضرر وإليه الإشارة بقوله: (**أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ).**))([[59]](#footnote-59)).

وقد ذكر ابن عاشور نكتة بلاغية تبين المناسبة بين أجزاء الآية فقال: ((وعلى هذا فالمقصود من الآية تربية اجتماعية دعت إليها المناسبة))([[60]](#footnote-60)).

وقد نجد اختلافاً بين آية تكررت بلفظ واحد مرتين مع اختلاف في خواتيمهما دعت إليه المناسبة التي اقتضاها السياق كما في قوله تعالى: {**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**} النساء: الآية 48، وقوله تعالى: {**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**} النساء: الآية 116.

وقد بيَّن ابن عادل هذا الاختلاف من خلال الإشارة إلى المناسبة التي دعت إليه وفق مقتضيات السياق إذ قال: ((فإن قيل لم خَتَم تلك الآية بقوله: (**فَقَدِ افْتَرَى**)، وهذه بقوله (**فَقَدْ ضَلَّ**). فالجواب: إن ذلك في غاية المناسبة، فإن الأولى في شأن أهل الكتاب من أنهم عندهم علم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، ومع ذلك فقد كابروا في ذلك، فافتروا على الله تعالى، وهذه في شأن قوم مشركين غير أهل كتاب ولا علِم، فناسب وصفهم بالضلال))([[61]](#footnote-61)).

واستطاع أحد الباحثين أن يقف عند سر هذا الاختلاف بين الآيتين فقال: ((ونستطيع أن نلمس سر هذا الاختلاف في أن الآية الأولى وردت في حديث عن اليهود الذين افتروا على الله الكذب، مما ناسب أن تختم الآية بالافتراء الذي اعتاده اليهود، وهم أهل الكتاب، أما الآية الثانية فقد وردت في حديث عن المشركين، وهم في إشراكهم لا يفترون، ولكنهم ضالون ضلالاً بعيداً))([[62]](#footnote-62)).

وقد تأتي آية من السور القرآنية مناسبة مع ما افتتحت به كقوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ}** المائدة: الآية 6، فقد بيَّن ابن عادل المناسبة بين هذه الآية الكريمة المتقدمة وما افتتحت به إذ قال: ((اعلم إنّ الله تعالى افتتح السورة بقوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** المائدة: الآية 1، فطلب الوفاء بعهد العبودية، فكأن العبد قال: يا إلهي، العهد نوعان: بأن تقدم الوفاء بعهد الربوبية والكلام فقال: نعم أنا أوفي بعهد الربوبية والكرم))([[63]](#footnote-63))، ثم أضاف: ((فلما تم هذا البيان فكأنه قال: قد وفيت بعهد الربوبية فيما يطلب من منافع الدنيا، فاشتغل أنت بالدنيا بالوفاء بعهد العبودية، فلما كان أعظم الطاعات بعد الإيمان الصلاة، ولا يمكن إقامتها إلا بالطهارة لا جَرَمَ بدا الله تعالى بذكر شرائط الوضوء))([[64]](#footnote-64)).

ولا يخفى على اللبيب العاقل جمال السياق القرآني الذي تضمنه النص من خلال التناسب بين الآيات المتمثل بهذا التعقيب الرائع، كما تجد سياق المناسبة بين مفتتح سورة إبراهيم وختامها الذي جاء متناسقاً مع السياق العام للسورة.

قال ابن عادل موضحاً هذا التنسيق: ((إما أوَّل هذه السورة فقوله تعالى: {**لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور**} إبراهيم: الآية 1، وإمَّا آخر السورة فقوله تعالى: {**وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**} إبراهيم: الآية 52، يدل على أنه تعالى إنَّما أنزل هذه السورة، وذكر هذه المواعظ لأجل أن ينتفع بها الخلق، فيصيروا مؤمنين مطيعين، ويتركوا الكفر والمعصية))([[65]](#footnote-65)).

ولا شك إن السورة الكريمة –وإن تخللها حكم وأمثال ومواعظ– فإن سياقها العام يدل على التهديد والوعيد للكافرين وترهيب بمشاهد يوم القيامة وأهوالها.

**المطلب الرابع: السياق والفواصل القرآنية**

للفواصل القرآنية أهمية كبيرة في المعنى، فضلاً عما فيها من نغم موسيقي ترتاح إليه النفوس وتميل نحوه([[66]](#footnote-66))، فلذا جاءت كثير من الآيات القرآنية منتهية بفواصل منسجمة مع بعضها([[67]](#footnote-67))، ولهذا اهتم العلماء بالفاصلة القرآنية، وجاءت بتسميات متنوعة منها رؤوس الآي، الفواصل، السجع.

والفواصل القرآنية لم ترد عبثاً في النص القرآني، بل لأغراض مقصودة في تقديم كلمة وتأخير أخرى، وحذف لفظة لدلالة ما تقدم عليها، وكذلك مراعاة للمعنى أو لكثرة الفواصل، وهذا كله يستدعيه سياق النص القرآني ويتطلبه.

وقد أشار ابن عادل إلى هذا عند تفسيره لقوله تعالى: {**كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**} الأنفال: الآية 54، مبيناً سبب مجيء الفواصل، إذ قال: (**وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**) جمع الضمير في (**كَانُوا**)، وجمع: (**ظَالِمِينَ**) مراعاة لمعنى (**كُلٌّ**) لأن (كلاً) متى قطعت عن الإضافة جاز مراعاة لفظها تارة، ومعناها أخرى، وإنما اختير هنا مراعاة للمعنى، لأجل الفواصل، ولو رُوعي اللفظ فقيل مثلاً: وكلٌّ كان ظالماً، لم تتفق الفواصل))([[68]](#footnote-68)).

ومثله أيضاً قوله تعالى: {**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُور**} فاطر: الآيات 19–21.

قال ابن عادل: ((وقدم الأعمى، لأن البصير فاصلة فحسن تأخيره ولما تقدم الأعمى في الذكر ناسب تقديم ما هو فيه، فلذلك قدمت الظلمة على النور، ولأن النور فاصل، ثم ذكر ما لكل منهما، فللمؤمن من الظل، وللكافر الحرور، وأخر الحرور لأجل الفاضلة كما تقدم))([[69]](#footnote-69)).

وذكر ابن عادل رأي ابن الخطيب في مسألة التقديم والتأخير في القرآن الكريم الذي يرى أنه لم يأت لمجرد الفاصلة فحسب كما هو شأن الشعر، بل حصل من أجل المعنى لأن إعجاز القرآن يكمن في المعنى لا في اللفظ([[70]](#footnote-70)).

ونتفق مع رأي ابن الخطيب من حيث إن الفواصل القرآنية تتعلق بمضمون الآية، وتناسب مع سياق نظمها، ولعل هذا متأت من الإعجاز القرآني. قال الزركشي: ((اعلم إن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله...وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، ولكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب))([[71]](#footnote-71)).

ونرى –أحياناً– النص القرآني يبدل كلمة بكلمة أخرى مع أن الآيتين متشابهتان؛ ذلك لأن فواصل الآي في كل من الموطنين مختلفة، فيجعل في نهاية كل آية ما ينسجم موسيقياً مع أخواتها. وذلك نحو قوله تعالى: {**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار**} إبراهيم: الآية 34، وقوله تعالى: {**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**} النحل: الآية 18.

ولا شك أن تناسب السياق كان وراء اختلاف الفاصلتين في الآيتين كما قال ابن عادل: ((وختمت هذه الآية (**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار**) ونظيرها في النحل بـ(**إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**)؛ لأن في هذه الآية تقدم قوله -عز وجل-: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا**} إبراهيم: الآية 28، وبعده **وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا** إبراهيم: الآية 30، فجاء قوله: (**إِنَّ الْإِنْسَانَ**) شاهداً بقبح مَنْ فعل ذلك متناسب ختمها بذلك))([[72]](#footnote-72)).

ثم تناول الآية الكريمة الأخرى فقال: ((والتي في النحل ذكر فيها عدة تفصيلات، وبالغ فيها، وذكر قوله -جل ذكره-: {**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ**} النحل: الآية 17، أي: مَنْ أوجد هذه النعم السابق ذكرها كمن لم يقدر منها على شيء، فذكر أيضاً إن من جملة تفضلاته إنصافه بهاتين الصفتين))([[73]](#footnote-73)).

ونلحظ أن خاتمة كل من الآيتين تنسجم موسيقياً مع الآيات فيهما، ولكن السياق أيضاً يقتضي الفاصلة التي فصلت فيها كل آية من الآيتين، ذلك أن الآية في سورة إبراهيم في سياق وصف الإنسان وذكر صفاته، فختم الآية بصفة الإنسان، وإن الآية في سورة النحل في سياق صفات الله فذكر صفاته وبهذا المعنى كان قول السيوطي([[74]](#footnote-74)).

ومن بديع الفاصلة قوله تعالى: {**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**} القصص: الآيات 71–72، فانظر كيف ختم آية الليل بقوله: (**أَفَلَا تَسْمَعُونَ**)، لأن الليل يصلح فيه السمع، وختم آية النهار بقوله: (**أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) لأنه صالح للإبصار([[75]](#footnote-75))، ونلحظ إن هذا المعنى نفسه قال به ابن عادل: ((واعلم أنه وإن كان السكوت في النهار ممكناً، وابتغاء فضل الله بالليل ممكناً إلا أن الأليق بكل واحد منهما ما ذكره الله تعالى فلهذا خصه به))([[76]](#footnote-76)).

ثم بيَّن الغرض من هذا الاختلاف بين خواتم الآيتين فقال: ((إنما قال: (**أَفَلَا تَسْمَعُونَ**)، (**أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) لأن الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر، فلما لم ينتفعوا أنزلوا منزلة مَنْ لا يسمع ولا يبصر))([[77]](#footnote-77)).

ولا يختلف المفسرون كثيراً عما ذهب إليه ابن عادل، فالسيوطي (ت911هـ) مثلاً يرى إن البلاغة اقتضت أن يقول: (**أَفَلَا تَسْمَعُونَ**) لمناسبته ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع، ولا يصلح للإبصار، فضلاً عن ذلك قوله تعالى: **أَفَلَا تُبْصِرُونَ** الذي اقتضته البلاغة أيضاً؛ لأن الظرف مضيء صالح للإبصار، وهذا من دقيق المناسبة المعنوية، ولا يخفى ما اقتضته الفاصلة في خواتم الآيتين من بديع النظم المتمثل في لفظتي (**تَسْمَعُونَ**) و(**تُبْصِرُونَ**)([[78]](#footnote-78)).

وهذه الشواهد المتقدمة كفيلة في إظهار أثر الفواصل القرآنية وأهميتها في السياق القرآني الذي بوساطته، نستطيع أن نصل إلى معنى النص القرآني والكشف عن إعجازه وحسن نظمه.

**الخاتمة**

بعد نهاية مطافنا في السياق القرآني وأثره عند ابن عادل، نتوج البحث ببعض النتائج التي توصلنا إليها، ونود أن نجملها في النقاط الآتية:

* يتمتع ابن عادل بشخصية علمية كبيرة، وعلم واسع في مجالات المعرفة المختلفة، لا سيما في علوم القرآن ومنها السياق القرآني؛ إذ لا يكتفي بنقل أقوال العلماء في تفسيره، بل كان يناقش كثيراً من القضايا في مواطن مختلفة، ويعلق على بعض منها ويرجح من دون إساءة أو تجريح لأحد.
* على الرغم من انتقالهم لم نجد ذكراً لمفهوم السياق القرآني في مؤلفات العلماء القدماء، إلاّ أنهم كانوا يعدونه من الركائز المهمة التي يعولون عليها في بيان الظواهر اللغوية وتفسيرها، ولا يمكن لأي مفسر أن يتجاهله، أو يغض الطرف عنه، فبدونه يزداد الخطأ ويكثر الزلل.
* عني ابن عادل في السياق القرآني كثيراً، وتناوله في مباحث متنوعة من خلال تفسيره للآيات القرآنية التي تتضمن دلالات سياقية.
* تمكن ابن عادل أن يلم بأنواع السياق القرآني المتمثلة: في سياق القرآن، وسياق السورة، وسياق النص، وسياق الآية في تفسيره. مبيناً أهمية كل نوع منها من خلال وقوفه على الشواهد القرآنية المناسبة لها.
* أشار ابن عادل لأسلوب التقديم والتأخير مبيناً أثر السياق في ذلك، مشيراً إلى أن القرآن الكريم قد يقدم لفظة في مكان، ويؤخرها في مكان آخر حسبما يقتضيه السياق، فضلاً عن أغراض بلاغية أخرى.
* وكان لابن عادل خوض آخر في أثر السياق في الدلالة على المحذوف من الكلام، الذي يعده من طرق التعبير التي تثري المعنى وتعمقه من خلال وقوفه على مواطن الحذف في النص القرآني، مشيراً إلى الدلالات السياقية والأغراض البلاغية التي دعت إلى ذلك.
* أما أثر السياق في المناسبة بين الفواتح والخواتم فقد كان هو الآخر له نصيب مناسب من تفسير ابن عادل، وذلك من خلال الإشارة إلى المناسبة التي دعت إلى الاختلاف بين بدايات السور ونهايتها وفق مقتضيات السياق ودلالاته.
* للفواصل القرآنية حضور كبير في تفسير ابن عادل، ولعل هذا متأت من أهميتها الكبيرة في المعنى فضلاً عما فيها من نغم موسيقي تميل النفوس نحوه وترتاح إليه.
* يكشف البحث إن ابن عادل من المفسرين الذين أولوا السياق القرآني عناية كبيرة وأهمية عظيمة في تفاسيرهم، فلذا لا بد لأي دارس للسياق القرآني، أو باحث به إلاّ أن ينهل من معينه الثر في هذا المجال، ولا يمكنه أن يغض طرفه عن تفسير اللباب.

**قائمة المصادر والمراجع**

* القرآن الكريم.
* الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الندوة، القاهرة، ط3، 1405هـ.
* أثر السياق في أساليب الحوار القرآني: زمن حسن محمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة العراقية، 2013م.
* أدب الكاتب: لابن قتيبة (ت267هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
* الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن: د . صباح عبيد دراز، مكة المكرمة، 1986م.
* الأضداد: لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإعلام الكويتية، ط2، 1986م.
* أضواء البيان: الشنقيطي (ت1393هـ)، مكتبة ابن تيمية، 1413هـ.
* الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1979م.
* أعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، د. ط، د. ت.
* الأنساب: للسمعاني (ت562هـ)، تحقيق: محمد عوّامة، مطبعة محمد هاشم الكتبي، بيروت، 1976م.
* الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني (ت739هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1975م.
* البحث البلاغي في تفسير اللباب لابن عادل: أطروحة دكتوراه، أ.د. شاكر محمود السعدي، كلية الآداب، الجامعة العراقية، 2009م.
* بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط2، 1427هـ.
* البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.
* البيان والتبيين: للجاحظ (ت255هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، 1985م.
* التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور: ابن عاشور (ت1393هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 2000م.

ترجمة حياة ابن عادل: مقال كتبه أ. مرهف السقا، نشر على الموقع الألكتروني، http: isaka 2005 – maktoob blog – com

* التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط2، 2002م.
* التعريفات: الشريف الجرجاني (ت826هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
* جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري (ت310هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 2003م.
* جماليات السياق القرآني وتجلياته في الدرس البلاغي: أ.د.عقيد خالد، دار الفراهيدي، بغداد، 2011م.
* الخصائص: لابن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ط4، 1990م.
* خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، د. ت.
* دلائل الإعجاز: للجرجاني (ت471هـ)، تعليق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، مصر.
* دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي: لأحمد لافي فلاح المطيري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007م.
* دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دائرة المكتبات والوثائق، عمان، الأردن، 1409هـ.
* السياق القرآني وأثره في التفسير: عبد الرحمن عبد الله سرور المطيري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة، 2008م.
* عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية: أحمد أحمد بدوي، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، مكتبة أم القرى، ط2، 1996م.
* الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار الأصيل، حلب، 1977م.
* فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: فتحي أحمد عامر، دار البلاغة للطباعة والنشر، 1966م.
* كشف الظنون: حاجي خليفة (ت1607هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران، 1947م.
* اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الأثير الجزري (ت630هـ)، مكتبة المثنى، بغداد.
* اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (ت880هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجو ، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1971م.
* لسان العرب: لابن منظور (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
* معترك الأقران: السيوطي(ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، د. ت.
* معجم المصطلحات اللغوية والأدبية: علية عزت عياد، دار المريخ للنشر، الرياض، 1984م.
* معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.
* مفاتيح الغيب في التفسير الكبير: للرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
* من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، ط3، د. ت.
* منهج ابن عادل الحنبلي في تفسيره: عمار عباس إسماعيل، رسالة ماجستير في علوم القرآن، الجامعة الإسلامية، بغداد، 2006م.
* نظرية السياق القرآني: المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2008م.
* النكت في إعجاز القرآن: للرماني (ت384هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام، ومحمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط2، 1986م.
* نيل السائرين في طبقات المفسرين: الشيخ محمد طاهر البنجبيري، ترجمة وتحقيق: محمود جبيرة الله، دار الكتب العلمية، بيروت.
* وظائف السياق في التفسير القرآني: أ. د. عقيد خالد العزاوي، مكتبة العراق، بغداد، ط1، 2012م.
* هدية العارفين في أسماء المؤلفين: إسماعيل باشا البغدادي (ت1335هـ)، المطبعة البهية، استانبول، 1951م.

1. ( ) ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الأثير: 1/394، ينظر: الأنساب: للسمعاني: 2/277. [↑](#footnote-ref-1)
2. ( ) ينظر: البحث البلاغي في تفسير اللباب لابن عادل: أ. د. شاكر محمود السعدي: 7. [↑](#footnote-ref-2)
3. ( ) ينظر: نيل السائرين في طبقات المفسرين: للشيخ محمد طاهر البنجبيري : 1/234. [↑](#footnote-ref-3)
4. ( ) ينظر: على سبيل التمثيل لا الحصر: منهج ابن عادل الحنبلي في تفسيره: عمار عباس إسماعيل: 9. [↑](#footnote-ref-4)
5. ( ) ينظر: مقال للأستاذ مرهف سقا في ملتقى أهل التفسير، وينظر البحث البلاغي في تفسير اللباب: 8. [↑](#footnote-ref-5)
6. ( ) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 13/438. [↑](#footnote-ref-6)
7. ( ) ينظر: المصدر نفسه: 19/122. [↑](#footnote-ref-7)
8. ( ) ينظر: المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-8)
9. ( ) ينظر: المصدر نفسه: 1/22. [↑](#footnote-ref-9)
10. ( ) ينظر: الأعلام: للزركلي: 5/58. [↑](#footnote-ref-10)
11. ( ) ينظر: كشف الظنون: لحاجي خليفة: 2/1543، هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي: 5/794، الأعلام: 5/58. [↑](#footnote-ref-11)
12. ( ) ينظر: اللباب: 1/72. [↑](#footnote-ref-12)
13. ( ) ينظر: البحث البلاغي في تفسير اللباب: 11 – 12. [↑](#footnote-ref-13)
14. ( ) اللباب في علوم الكتاب: 1/79. [↑](#footnote-ref-14)
15. ( ) نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر: تفسير الجلالين، وتفسير أبي السعود، وتفسير البقاعي. [↑](#footnote-ref-15)
16. ( ) قمنا بجمع هذه الدراسات وتحليلها في كتاب أسميناه (دراسات في تفسير اللباب لابن عادل) وهو قيد الإنجاز حالياً. [↑](#footnote-ref-16)
17. ( ) مقاييس اللغة: 3/90. [↑](#footnote-ref-17)
18. ( ) ينظر: لسان العرب: لابن منظور، مادة (سوق): 10/166. [↑](#footnote-ref-18)
19. ( ) ينظر: نظرية السياق القرآني: د. المثنى عبد الفتاح محمود: 14. [↑](#footnote-ref-19)
20. ( ) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني (ت739هـ): 1/13. [↑](#footnote-ref-20)
21. ( ) البيان والتبيين: للجاحظ (ت255هـ): 87–88، وينظر: أدب الكاتب: لابن قتيبة: 14. [↑](#footnote-ref-21)
22. ( ) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري (ت310هـ): 6/23. [↑](#footnote-ref-22)
23. ( ) الأضداد: لابن الأنباري: 2. [↑](#footnote-ref-23)
24. ( ) نظرية السياق القرآني: 15. [↑](#footnote-ref-24)
25. ( ) ينظر: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية: د. علية عزت عياد: 83، جماليات السياق القرآني: د. عقيد خالد حمودي: 17–18. [↑](#footnote-ref-25)
26. ( ) ينظر: دلائل الإعجاز: 49. [↑](#footnote-ref-26)
27. ( ) بدائع الفوائد: لابن القيم: 4/415. [↑](#footnote-ref-27)
28. ( ) التعبير القرآني: 237. [↑](#footnote-ref-28)
29. ( ) ينظر: دلالة السياق: عبد الحكيم قاسم: 507–509، وظائف السياق: د. عقيد خالد حمودي: 29–38. [↑](#footnote-ref-29)
30. ( ) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: عبد الوهاب أبو صفية الحارثي: 88، وينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير: عبد الرحمن المطيري: 6. [↑](#footnote-ref-30)
31. ( ) المصدران نفسهما. [↑](#footnote-ref-31)
32. ( ) ولمن أراد الوقوف عند أنواع السياق وتفصيلاتها ينظر: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: 88–89، نظرية السياق القرآني: د. المثنى عبد الفتاح: 45–50. [↑](#footnote-ref-32)
33. ( ) ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر: أعلام الموقعين: لابن القيم: 1/280، أضواء البيان: للشنقيطي: 6/242–443، أثر السياق في أساليب الحوار القرآني: زمن حسن محمد: 19. [↑](#footnote-ref-33)
34. ( ) البرهان في علوم القرآن: 3/233. [↑](#footnote-ref-34)
35. ( ) دلائل الإعجاز: 106، وينظر: عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية: د. أحمد احمد بدوي: 138. [↑](#footnote-ref-35)
36. ( ) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 3/239. [↑](#footnote-ref-36)
37. ( ) التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي: 53. [↑](#footnote-ref-37)
38. ( ) المصدر نفسه: 53. [↑](#footnote-ref-38)
39. ( ) اللباب: 8/509. [↑](#footnote-ref-39)
40. ( ) اللباب: 1/338–339. [↑](#footnote-ref-40)
41. ( ) التعبير القرآني: 56. [↑](#footnote-ref-41)
42. ( ) اللباب: 9/449. [↑](#footnote-ref-42)
43. ( ) ينظر: المصدر نفسه: 2/91، 5/486، 12/396، 9/449، 15/420–421. [↑](#footnote-ref-43)
44. ( ) دلائل الإعجاز: 95. [↑](#footnote-ref-44)
45. ( ) ينظر: الخصائص: لابن جني: 2/360. [↑](#footnote-ref-45)
46. ( ) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. صباح عبيد دراز: 145. [↑](#footnote-ref-46)
47. ( ) ينظر: التعريفات: الشريف الجرجاني: 61. [↑](#footnote-ref-47)
48. ( ) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: د. فتحي أحمد عامر: 188. [↑](#footnote-ref-48)
49. ( ) ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى: 1/115. [↑](#footnote-ref-49)
50. ( ) الكشاف: 3/161. [↑](#footnote-ref-50)
51. ( ) اللباب: 15/235. [↑](#footnote-ref-51)
52. ( ) اللباب: 2/107. [↑](#footnote-ref-52)
53. ( ) المصدر نفسه: 2/111. [↑](#footnote-ref-53)
54. ( ) ينظر: اللباب: 1/423–424، 4/45، 6/130–401، 18/87، 19/599، 17/421. [↑](#footnote-ref-54)
55. ( ) ينظر: المصدر نفسه: 11/477، 12/395، 7/212، 10/132. [↑](#footnote-ref-55)
56. ( ) ينظر: لسان العرب: مادة (نسب). [↑](#footnote-ref-56)
57. ( ) الإتقان: للسيوطي: 2/271. [↑](#footnote-ref-57)
58. ( ) النكت في إعجاز القرآن: 92. [↑](#footnote-ref-58)
59. ( ) اللباب: 7/16، وينظر: جماليات السياق القرآني: 110. [↑](#footnote-ref-59)
60. ( ) التحرير والتنوير: 4/252. [↑](#footnote-ref-60)
61. ( ) اللباب: 7/19. [↑](#footnote-ref-61)
62. ( ) من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي: 85. [↑](#footnote-ref-62)
63. ( ) اللباب: 7/216. [↑](#footnote-ref-63)
64. ( ) المصدر نفسه: 7/217. [↑](#footnote-ref-64)
65. ( ) اللباب: 11/421. [↑](#footnote-ref-65)
66. ( ) ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي: 155. [↑](#footnote-ref-66)
67. ( ) ينظر: التعبير القرآني: 195. [↑](#footnote-ref-67)
68. ( ) اللباب: 9/545. [↑](#footnote-ref-68)
69. ( ) المصدر نفسه: 16/124. [↑](#footnote-ref-69)
70. ( ) ينظر: تفسير الرازي: 26/16–17، وينظر: اللباب: 16/125. [↑](#footnote-ref-70)
71. ( ) البرهان في علوم القرآن: 65. [↑](#footnote-ref-71)
72. ( ) اللباب: 11/392. [↑](#footnote-ref-72)
73. ( ) المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-73)
74. ( ) ينظر: معترك الأقران: 1/44، وينظر: التعبير القرآني: 220 – 221. [↑](#footnote-ref-74)
75. ( ) ينظر: التعبير القرآني: 225. [↑](#footnote-ref-75)
76. ( ) اللباب: 15/286. [↑](#footnote-ref-76)
77. ( ) المصدر نفسه: 15/285. [↑](#footnote-ref-77)
78. ( ) الإتقان: 2/101. [↑](#footnote-ref-78)